

اليوم الثلاثاء الموافق
30/9/20025

السنة الرابعة
الفصل السابع

تاريخ السودان المعاصر
المحاضرة السابعة

وكان يدور في خلد بريطانيا أن المهديّة بعد إخلاء مصر بضغط
من بريطانيا يمكن أن تنصرف المهديّة إلى تصريف شؤونها
الداخلية وعلي صعيد آخر تتيح المجال لبريطانيا لمعالجة أزمته في
مصر بالسبل الدبلوماسية مع غريمته فرنسا. وبعدها فإن
قضية السودان يمكن ان تكون تحت السيطرة اذا نجحت في
مسعاها بشأن مصر



وحتى يتمكنوا هم من جانب آخر من تسوية ما نجم عن انفرادهم
بقرار احتلال مصر 1882م. إذ كان هذا الإحتلال لا يستند
على أي أساس قانوني في أراضٍ (خديوية). إذ لا يزال للباب
العالي حق السيادة عليها وظلت فرنسا وروسيا تنددان بهذا
الإحتلال وهما منافستان لا يقلان عنها دوراً في الساحة الدولية
يومئذٍ



وحاول البريطانيون تسوية هذا الأمر مع الباب العالي بغية التفرغ للمسألة السودانية وقد سقطت حكومة غلادستون التي جرت كل هذه الأحداث في مصر والسودان في عهدها في يونيو 1885م وخلفتها وزارة من المحافظين بقيادة اللورد سالسبري . وقد حاولت حكومة العمال حل المشكلة المصرية باسترضاء الباب العالي ، هذا في الوقت الذي كان فيه الوادي في أحد شطريه يغلى بثورات عنيفة كما أن إحتلالهم لمصر أثار ضدهم الشعور الإسلامي في شبه القارة الهندية .

كما أن عجز حكومة العمال بقيادة جلادستون عن إنقاذ غوردون قد أثار ضدهم الشعور الإنجليزي وقلب عليهم الطاولة داخل بريطانيا فجاءت بهذه الحكومة بقيادة سالسبري .

لهذا السبب أوفدت الحكومة البريطانية السير هنري درموند وولف (Sir Henry Drummond Wolf) في بعثة إلى كل من القسطنطينية والقاهرة ليتعاون مع الباب العالي بغية إيجاد حل للمسألة المصرية البريطانية بمعاونة تركيا .

وكانت التعليمات التي زود بها اللورد وولف تتلخص في : 1/ إيجاد حل مع تركيا بشأن النظام القائم 2/ تحديد موعد الجلاء 3/ أن الحكومة البريطانية تعترف بكل ما يحمله هذا الاعتراف من معنى للسلطان بحقه الشرعي في مصر . 4/ على تركيا أن تقبل بوجود بريطانيا في مصر إلى فترة محددة ثم بعدها يتم الجلاء . 5/ التأكيد على أنه في حالة أن تطرأ مستجدات يمكن أن يعود الاحتلال بالاشتراك مع تركيا في هذا الجزء نلاحظ قد تم دس السم . إذ يُلاحظ المرء الضبابية في السياسة البريطانية محاولة خلق خط رجعة في فيما يتصل بالتزامها بميثاق الجلاء ..

أما فيما يتعلق بالسودان: 1/ فإن الحكومة البريطانية ترى واجباً عليها أن تعمل ما في وسعها من العمل على تهدئة الأحوال في السودان واستتباب الأمن والنظام فيه ، 2/ ترى ان تعاون السلطان في هذا الجانب ضروري للحصول على نتيجة في هذه المسألة . 3/ إذا رفض السلطان التعاون فإن الحكومة البريطانية ستجد نفسها مضطرة أن تتحلل من التزاماتها إزاء السلطان واللجوء إلى وسائل أخرى من أجل الدفاع عن السودان واستقرار النظام به !!!!

ومن هذه الوسائل التي يمكن أن تلجأ إليها بريطانيا 1/الإعتماد على حكومة وطنية أو 2/ الإستعانة بمعونة أجنبية ، وينبغي أن لا يفوت على السلطان أن الإلتجاء إلى أي واحد من هذين الإجراءين من شأنه إضعاف العلاقة العثمانية بمصر وليس تقوية الرابطة التي تربط مصر بتركيا. وهذا نوع من التهديد المبطن للسلطان عبد الحميد الثاني وقد خطت بريطانيا وفرنسا لتمزيق الدولة العثمانية واحلال محلها دويلات قومية عن طريق فرق تسد وذلك بتشجيع القوميات بالثورة على الدولة العثمانية ووعدها بانها ستعطى حق الاستقلال وتقرير المصير

وقد علق السير (أوكلاند كولفن)
تعليقاً على هذه التعليمات الخاصة
بالسودان والمعطاة لسير (هنري
درموند وولف) أن معناها في غير اللغة
المستخدمة في الدبلوماسية
الإنجليزية هو :

إغراء السلطان حتى يأخذ على
عاتقه تحطيم الخليفة عبد الله
التعايشي فإذا تردد السلطان
فعليه أن يتوقع من الإنجليز
تأسيس حكومة وطنية من عناصر
محلية قد تكون على غير ما يهوى
السلطان .



لقد كان هذا الإتفاق إتفاق القسطنطينية هو بداية مرحلة
تطور جديدة في السيطرة البريطانية على مصر ومن ثم
التدخل في الشؤون السودانية . ومن تلك اللحظة بدأت
بريطانيا تفكر في إطالة أمد وجودها في مصر ومن ثم بدأت
تفكر في ضرورة معالجة المسألة السودانية التي تكفل لها
تأمين حدود مصر الجنوبية . وتنفيذ مشروع رودس.

بالنسبة لبريطانيا لكي تستعيد السودان كانت هناك عدة أسباب ارادت ان تعلق وتبرر بها غزو واحتلال السودان بغية التغطية على اهدافها الاستراتيجية وذر الرماد في وجه القوى الاوروربية الاخرى الطامعة في السودان أولها : مقتل غوردون هذا المرتزق الذي اصفوا لقب البطل المسيحي (Christian Hero)، ومن ثم ظلت الصيحات في إنجلترا تتعالى وتطالب بالانتقام لهذا البطل الذي زعموا بانه شهيد (Martyre) وهو معتد غاز اثم



UNITED KINGDOM



□ المملكة المتحدة ((United Kingdom

- الاسم الرسمي: المملكة المتحدة لبريطانيا

- العظمى وأيرلندا الشمالية.

- تتكون من أربع دول:

- إنجلترا

- اسكتلندا

- ويلز

- أيرلندا الشمالية

- هي الدولة ذات السيادة التي تمثلها الحكومة المركزية في لندن، وتشارك في المنظمات الدولية مثل الأمم المتحدة ومجلس الأمن.

ثلاث مسميات مختلفة يخطئ في معرفتها الكثير وهي

1/ بريطانيا العظمى 2/ المملكة المتحدة 3/ إنجلترا أولاً : المملكة المتحدة تشمل إنجلترا وويلز واسكتلندا وايرلندا الشمالية

ثانياً: بريطانيا تشمل إنجلترا واسكتلندا وويلز



بريطانيا العظمى

إنجلترا واسكتلندا وويلز



المملكة المتحدة

إنجلترا واسكتلندا وويلز وشمال إيرلندا



■ بريطانيا أو بريطانيا العظمى (GB Great Britain)

■ -تشير إلى الجزيرة الكبرى التي تضم:

■ - إنجلترا – اسكتلندا - ويلز

■ - لا تشمل أيرلندا الشمالية، وبالتالي ليست مرادفًا للمملكة المتحدة.

■ - تُستخدم أحيانًا إعلاميًا أو رياضيًا كاختصار

للمملكة المتحدة، لكن ذلك غير دقيق سياسيًا.

■ إنجلترا ((England))

■ -هي إحدى الدول الأربع داخل المملكة المتحدة.

تقع في الجزء الجنوبي من جزيرة بريطانيا العظمى – العاصمة

لندن تقع فيها، وهي أيضًا عاصمة المملكة المتحدة.

■ - لا تمتلك برلمانًا مستقلًا مثل اسكتلندا أو ويلز

، بل تُدار مباشرة من البرلمان البريطاني في وستمنستر.

المملكة المتحدة هي دولة قومية تتكون من أربعة دول هي: إنجلترا وإسكتلندا والويلز وشمال إيرلندا تعتبر المملكة المتحدة دولة قومية أو دولة ذات سيادة بذاتها تتكون من أربعة دول، لكن هذه الدول الأربعة التي تتكون منها ليست عبارة عن دول بالمفهوم الشائع الذي قد يفهمه الجميع، أي أنها ليست دولاً مستقلة تماماً.

بالإضافة الى ما سبق ذكره من اسباب دفعت ببريطانيا الى غزو واحتلال السودان ولعله مما يؤسف له كما هو الحال الآن وفي عهود سابقة أن من الأسباب التي دعت بريطانيا لغزو السودان هو أن بعض العناصر السودانية شاركت في إستعداد الخارج على الحكم الوطني بالبلاد ، من ذلك مذكرة الياس أم برير التي حملت توقيع عدد من شيوخ الكبابيش ودفع ذلك (إفلنج بارنج سابقاً : اللورد كرومر فيما بعد) أن يرسل طي كتابه إلى (سولسبري) رئيس الوزارة في 4/فبراير 1887م مع ترجمة لهذه العريضة ومحتوياتها .



اللورد كرومر افلنج بارنج سابقاً

ومعلوم أن الياس أم برير كان من أكبر التجار الجعليين وقد سبق أن تولى وظيفة مدير مديرية الأبيض في عهد الحكم المصري العثماني وكان ممن انضم إلى المهدي مبكراً ولعل تبدل الأمور في عهد الخليفة وفقدانه لموقعه المتقدم كان من الأسباب التي دعتة للخروج علي السلطة الوطنية القائمة . بقيادة خليفة المهدي عبد الله بن محمد.

وكانت هذه العريضة تحمل توقعات
عده من مشايخ وأعيان كردفان ، مما
يعني أن الرجل قد استخدم ووظف
مكانته السابقة لصالح الأجنبي . الامر الذي
يعتبر خيانة وطنية في كل الاعراف
والقوانين الدولية اعني التقارير مع لعدو
الأجنبي في زمن الحرب

وفي 27 مارس 1887م بعث (افلنج بارنج) بكتاب آخر ورد من صالح بك الكباشي الشيخ صالح فضل الله ود سالم شيخ الكبابيش يتعجب فيه من تباطؤ الحكومة المصرية الإنجليزية في القيام بعمل عاجل لاسترجاع السودان الامر الذي يؤكد على الدولة المهدوية قد واجهت خيانات وطنية كبيرة ولعل هذا يبرر كثيرا من الاجراءات الصارمة التي اتخذها الخليفة ضد بعض الزعامات والقيادات على المستوى القبلي او الاداري او السياسي او القضائي والتنفيذي



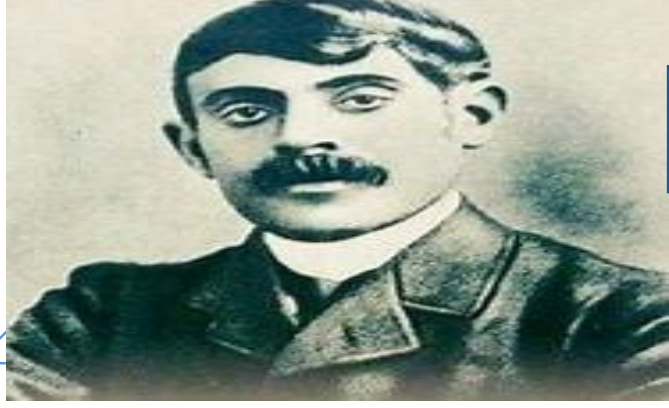
الخلاصة : ان بريطانيا شرعت بالفعل في اتخاذ التدابير الكفيلة باسترجاع السودان ومن ثم كالعادة بدأت بالبحث عن الحيل القانونية قبيل البدء في الزحف علي الخرطوم واسقاط الدولة المهدوية . يلاحظ منذ ان انتهت واقعة ام درمان حكم الخليفة عبداللّٰه التعايشي شرع الانجليز في تدبير نظام حكم يكفل لهم ما يلي من اهداف منذ البداية:

أولاً: السيطرة التامة والكاملة علي ادارة السودان و من ثم ظلت تبحث عن المدخل الذي يثبت احقيتها في الاستيلاء علي السودان. واثبتوا ان السيطرة علي السودان يمكن أن تثبت لهم من خلال حق الغزو الذي - اسموه تجييراً وتزويراً للحقائق التاريخية بالفتح والاحتلال الذي اسموه بالاستعمار-- ، اي بفضل المشاركة في غزو السودان بالمال والرجال واسترجاعه الي حظيرة مصر. يحق لهم قانوناً ان يحتلوا السودان وان يمكثوا فيه لاطول فترة ممكنة ويستغلوا خيراته وانسانيته

المصدر:

د.محمد فؤاد شكري:مصر والسودان :تاريخ وحدة وادي النيل السياسية في القرن التاسع عشر الميلادي، مصر ، القاهرة ، دار المعارف، ط2، 1958م ص.538)

ثانياً: الاعتراف بحقوق السيادة لمصر علي السودان
في ظل ثلاث افتراضات : 1/ ان مصر استأنفت
هذه الحقوق بعد ان كانت معطلة ايام المهدية 2/
ام أن مصر صارت لها هذه الحقوق من جديد
بحكم حق الفتح مثلها في ذلك مثل بريطانيا .
وبريطانيا من جانب آخر تريد من هذا المقترح او
هذا الطرح ان تقنن لوجودها او فرض نفوذها في
السودان 3/ او ان مصر ذات حقوق في السيادة
قديما وحديثا .



اللورد كرومر المندوب السامي البريطاني في اقلقاهرة



ثالثاً: ابعاد تركيا كلياً من شؤون السودان لأسباب تتضح في حينها . ولعل من اهم اسباب ابعاد تركيا من المشهد السوداني هو استبعاد الامتيازات الاجنبية من السودان . وقد توصل المسؤولون الانجليز الى تدبير هذا النظام الذي يكفل تحقيق كل الاغراض التي ذكرناها انفاً والذي فيما بعد عرفت بنظام الحكم الثنائي في السودان عام 1899م. وكان اللورد كرومر هو مبتدع ومهندس هذا النظام الجديد